﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٩ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٠﴾ [سبأ: 29 - 30]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الانتقالُ مِن بيان التَّبليغِ إلى بيان موقفِ الكفرة من المبلَّغين

لما بيَّنتِ الآية السّابقةُ وظيفةَ رسول الله ﷺ في تبليغِ النّاس كافَّةً، وتبشيرهم وإنذارهم، وعقَّب في الفاصلةِ ببيان أنَّ أكثر النّاس لا يعلمون حقائقَ الدّين، ولا يستجيبونَ لما يُحقِّق مصالحهم الأخرويَّة، ناسب بيان موقفِ أكثر الناس بما جاء على لسانِ المشركين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ ليكونَ الجوابُ بتعيين موعدٍ لا يستأخرون عنه ساعةً، ولا يستقدمونَ، فهو انتقالٌ من التَّكليفِ بالتَّبليغِ، إلى بيان موقف المُبلَّغين؛ لتقومَ الحجَّةُ عليهم في عدم الاستجابةِ، والكفر بالسّاعة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡوَعۡدُ﴾: (وعد) أصلٌ يدُلُّ على ترجيةٍ بقول، يقال: وعَدتُهُ أعِدُه وعدًا، ويكون ذلك بخيرٍ وشرٍّ، فأمّا الوعيدُ؛ فلا يكونُ إلّا بشرٍّ، يقولون: أوعدته بكذا[1]، والوعدُ المقصودُ في الآية هو القيامة.

2) ﴿تَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾: (أخر) أصلٌ يدُلُّ على خلاف التَّقدُّم، والأُخُرُ نقيضُ القُدُم، تقولُ: مضى قدمًا، وتأخَّر أُخُرًا، وقال: وآخرة الرَّحْلِ وقادمته ومُؤَخَّر الرَّحل ومُقدَّمُه[2]، وأخَّره، فتأخَّر، واستأخَر أيضًا، والآخِرُ بكسر الخاءِ بعد الأوَّل، وهو صفةٌ، تقول: جاء آخِرًا، أي: أخيرًا[3]، وقوله: ﴿لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾، أي: لا يتأخَّرون عن ذلك.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وعد).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أخر).
(3) الرّازيّ، مختار الصحاح: (أخر).

3) ﴿سَاعَةً﴾: (سوع) أصلٌ يدلُّ على استمرارِ الشَّيء ومضيّه، سُمّيت السّاعة بذلك، يقال: جاءنا بعد سوعٍ من اللَّيل وسواعٍ، أي: بعد هَدْءٍ منه، وذلك أنَّه شيءٌ يمضي، ويستمرُّ، ويقال: هو ضائعٌ سائعٌ، وناقةٌ مسياعٌ، وهي الَّتي تذهب في المرعى[1]، فهي تسعى، وتتحرَّك ساعةً من الزَّمن، والسّاعة تُصغَّر سوَيْعة، والسّاعة القيامة[2]، المقصود بالسّاعة في الآية الكريمة الفترة الزَّمنيَّة المحدودة.

4) ﴿تَسْتَقْدِمُونَ﴾: (قدم) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على سبق، فالقِدَمُ خلاف الحُدوث، وشيءٌ قديمٌ إذا كان زمانُه سالفًا، وأصلُه قولُهم: مضى فلان قدمًا: لم يعرج، ولم ينثنِ[3]، والقُدْمَةُ والقَدَمُ أيضًا: السّابقة في الأمر، وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: 2]، أي: سَبَقَ لهم عند اللّٰه خيرٌ، وللكافرين قَدَمُ شرٍّ، والقِدَمُ مصدرُ القَديم مِن كلِّ شيءٍ، وتقول: قَدُمَ يَقدُمُ، وقَدَمَ فلانٌ قومَهُ، أي: يكون أمامهم، ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: 98][4]، والمقصودُ في الآية: هو أنَّ الميعادَ لن يتأخَّر، ولن يتقدَّم، وإنَّما سيأتي في موعده المضروبِ له.

المَعْنى الإجْماليُّ:

الاستهزاءُ بالعقائد ثمرةُ الإنكار وطريق الكفّار

تُبيِّنُ الآيتان الكريمتان استحفافَ المشركين بعقيدةِ البعث، واستهزاءهم برسولِ اللّٰه ﷺ، بالسُّؤال عن موعد القيامة، منكرين قدومَ يومِ القيامة، فيسألون متى سيحدثُ هذا الوعدُ، ولذلك خُتِمَت الآية بقولهم: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، أي: (أنتم لستُم صادقين في إخباركم بهذا الوعد)، وبناءً على السُّؤال يأتي الرَّدُّ من اللّٰه بأنَّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوع).
(2) الخليل، العين: (سوع).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قدم).
(4) الخليل، العين: (قدم).

القيامة لها ميعادُ يومٍ لا يعلم وقته إلّا هو سبحانه، لكنَّه موعدٌ لا يستأخر النّاس عنه، ولا يستقدمون؛ إذ لا يمكن أن يتخلَّف عنه أحدٌ، وهو يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَئْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾، فموعدُ يوم القيامةِ قادِمٌ - لا محالة - ممّا يدعو المؤمنين إلى الثَّبات والتَّمسُّك بإيمانهم، وتحذيرُ الكافرين مِنَ الاستمرار في كفرهم وغيِّهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ الواو ودلالتُها:

مَن جَهِلَ الحقائقَ أنكرها استهزاءً واستبعادًا

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ عاطفة، والجملة معطوفةٌ على خبر (لكن) في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾، والتَّقديرُ: ولكنَّ أكثرَ الناس لا يعلمون حقَّ البشارة والنِّذارة، ويتهكَّمون فيسألون عن وقت هذا الوعد الذي هو مظهرُ البشارةِ والنِّذارة، ويجوز أن تكونَ الجملةُ مستأنفةً، والواو للاستئناف[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بجملة ﴿وَيَقُولُونَ﴾:

تكرارُ صدورِ الأقوالِ المُنكرَةِ عن المنكرين للحقِّ

استعمل النَّظمُ الكريم مفردةَ القولِ بصيغة الفعل المضارع ﴿وَيَقُولُونَ﴾ وضمير (يَقولونَ) عائدٌ إلى المحاجّين من المشركين الذين صدرت عنهم هذه المقالةُ[2]؛ لبيانِ أنَّ هذا ديدنُهم، وأنَّ هذا القولَ قد صدر عنهم مرارًا، وبالفعل فقد جاءت هذه الآية: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ستَّ مرّاتٍ في القرآن الكريم، وهي توحي بالتَّعجُّب من سؤالِهم المشحون بالإنكار والاستبعادِ، مع ما فيها مِن رائحة التَّهديد والوعيد، فإنَّ ذكرَ قولِهم تسجيلٌ عليهم بإنكار العقائدِ الثابتة كالبعث والحساب، ليُحاسبوا على ذلك فيما بعدُ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 199.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 199 - 200.

بلاغةُ الكنايةِ في استعمال ﴿مَتَىٰ﴾:

السُّؤالُ عن زمن القيامةِ كنايةٌ عن إنكارها

وقع استفهامُ المشركين عن وقت القيامةِ بأداة ﴿مَتَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ الإنكارَ انصبَّ على تعيين موعد القيامة، وهو ما تولَّت الآيةُ اللّاحقة الإجابة عنه: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾، على أنَّ الإنكارَ ليس لجهل زمان وقوعها، فإذا عُرِفَ الزَّمنُ؛ آمنوا، بل هو استفهامُ المستهزئ السّائل عن الوقت لإنكار الحدث، فالاستفهامُ عن الوقت هو كنايةٌ عن لازمِهِ، وهو الحدثُ، ولمّا سألوا سؤالَ المستهزئ؛ لَزِم عن ذلك وقوعُ الإنكار، وهذا التَّوجيهُ هو الذي يتَّسق مع نظم الآية.

غرضُ الاستفهامِ ومقصوده:

غرضُ الاستفهامِ في قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ هو إنكارُ البعث، والاستهزاء بالمؤمنين، فخرجَ الاستفهامُ إلى الإنكارِ والاستهزاءِ، بقرينة: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

نكتةُ حذفِ جوابِ الشَّرط:

الإيجـازُ والاختـزالُ من أمـاراتِ النَّظم المعجز

حُذِفَ جواب الشَّرطِ: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ لدلالةِ السِّياق المفهوم من السُّؤال عليه، أي: (إن كنتم صادقين في دعواكم؛ فعيِّنوا ميقاتَ هذا الوعد)، فنكتةُ الحذفِ الإيجازُ في النَّظم، وإرادة العموم، أي: (إن كنتم صادقين في زعمِكم بأنَّ البعثَ حقٌّ، وأنَّ القيامةَ آتيةٌ، فلا بدَّ أن تعلموا متى هو)، وهو يستلزمُ التَّشكيكَ في صِدق الرِّسالة، واتِّهام الرَّسول والمؤمنين بالكذب والافتراء على الله تعالى.

دلالةُ الإشارةِ بالقريب:

الإشارةُ بالقريب للمُستَهزئ به

استُعمِلَ اسمُ الإشارة في قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ للاستخفاف والتَّحقير، فإنَّ الإشارةَ للقريبِ مرادٌ بها الاستهانةُ بالمُشار إليه، وهو عقيدةُ البعثِ، فقد صوَّروا معنى إثباتِ البعث واستحضروهُ، ثمَّ أشاروا إليه بهذا، وهي طريقتُهم في الاستخفاف

والتَّحقير، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنبياء: 36].

معنى التَّعريفِ في لفظِ ﴿ٱلْوَعْدُ﴾:

التَّعريفُ في لفظِ ﴿ٱلْوَعْدُ﴾ للعهد الذِّهنيِّ، فإنَّ المقصودَ به وعدُ إتيانِ القيامةِ، فسؤالهم واقعٌ لوعدِ القيامة، بقطع النَّظر عن الجزاءِ الواقع فيه، فهو حاوٍ لجزاءِ المؤمنين والمشركين.

نكتةُ استعمالِ ﴿إن﴾ دون (إذا):

بيانُ معتقدِ السّائلِ في شأن المسؤولِ عنه

آثرَ النَّظمُ الكريمُ استعمالَ أداة ﴿إن﴾ دون (إذا) في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ للإيماءِ إلى اعتقادِ السّائلين، فهُم يسألونَ سؤالَ المنكرِ المستهزئِ، ولو اعتقدوا بأحقّيَّة البعثِ؛ لجاء سؤالُهم بأداة (إذا) الدّالَّة على تحقُّق الوقوع.

تعيينُ المقصودِ بضميرِ المخاطَبين:

المقصودُ بضميرِ المخاطَبين في قولِه تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إمّا للرَّسول ﷺ باعتبار أنَّ معه جماعةً يخبرون بهذا الوعد، وإمّا للمسلمين عمومًا[1].

دلالةُ ذكرِ الكون الماضي:

تصويرُ الحالِ القائمةِ بين المؤمنين والمنكرين للبعث

جاء استعمالُ فعلِ الكون الماضي في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ دون الاستغناء عنه، فيُقال: (إن صدقتم)، وذلك لاستحضارِ ما صدر عنهم مرارًا من إثبات البعث والدَّعوة إليه، أي: إن كنتم صادقين في دعواكم للإيمانِ بالحساب والجزاءِ فيما مضى، فأفاد تصويرُ المشهد الماضي في علاقةِ المؤمنين بالمشركين القائمة على الدَّعوة إلى التَّصديق بالبعث وإنكاره من قبلِ المشركين،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 200.

وهو ما يُبيِّنه قولُهُ تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣﴾ [النبأ: 1-3] على القول بأنَّ النَّبأَ هو البعثُ صراحةً، أو القرآن المشتمل على ذكرِ البعث تبعًا.

دلالةُ التَّعريضِ باستعمال مفردة الصِّدق:

استلزامُ تكذيبِ المؤمنين لعدم معرفةِ وقت القيامةِ جهالةٌ بالله وتطاولٌ على عبادِهِ

آثرَ النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردةِ الصِّدق في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾؛ إذ طلبوا جوابًا صادقًا متضمِّنًا إحضارَ ذلك اليوم؛ ليكتمل تصديقهم به، وإلّا فإنَّهم لن يُصدِّقوهم مهما فعلوا، ولو أنَّ الله تعالى أعلمَ رسوله بموعد ذلك اليوم، ثمَّ بيَّن الرَّسولُ للنّاس ذلك الموعد؛ لأنكره عموم النّاس، وكذَّبوه، فأرادوا بقولهم: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّكم غيرُ صادقين أبدًا في دعواكم إلى الإيمان، فذِكرُ الصِّدق تعريضٌ بمقابله وهو الكذب، أي: (أنتم كاذبون لا صادقون)؛ بدليل عدم معرفة موعد البعث، وهذا ديدن المنكرين الجهلةِ.

علَّةُ فصلِ الجملة عمّا قبلها:

جاءت جملة: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٍ﴾ إلى آخرِها مسوقةً مساقَ الجواب عن مقالتهم، ولذلك فُصِلَت، ولم تُعطَف، على طريقةِ حكاية المحاورات في القرآنِ[1].

غرضُ فعلِ الأمرِ:

أمرُ الله لنبيِّه أمرُ إرشادٍ وتوجيهٍ

جاء فعلُ الأمر في قوله تعالى: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٍ﴾؛ لغرضِ الإرشاد والتَّلقين، فإنَّ على الرَّسول والدُّعاة من بعده أن يُبلِّغوا النّاس عن الله تعالى كما أمر، ففي الآيةِ تلقينٌ للرَّسول ﷺ تلك الإجابة المُباشرة التي لا تصدرُ إلّا عن علّام الغُيوب، الملك المالك لذلك اليوم العظيم، مع ما في الأسلوبِ مِن دلالةِ التَّحذير.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 200.

نكتةُ ذِكرِ الجارِّ والمجرور ﴿لَّكُم﴾ وتقديمه:

تعريضٌ بالتَّهديد ودلالة التَّخصيص

في قوله تعالى: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ ذُكِر الجارُّ والمجرور ﴿لَّكُم﴾؛ ليدلَّ على التَّهديد والوعيد بذلك اليوم، ففي هذا الجواب عرَّضَ بذلك، فكان مطابقًا للمقصود من الاستفهام، ولذلك زيدَ في الجواب كلمة ﴿لَّكُم﴾؛ إشارةً إلى أنَّ هذا الميعادَ منصرفٌ إليهم ابتداءً[1]، وقُدِّم؛ ليدلَّ على الاختصاصِ، ومقصوده التَّهديدُ، كأنَّه لهم فحسب.

نوعُ (اللام) ودلالتها:

دلَّ حرفُ اللّامِ في قولِهِ تعالى: ﴿لَّكُم﴾ على الاختصاصِ، وأشار الاختصاصُ إلى أنَّ هذا الميعادَ منصرفٌ إليهم؛ لأنَّه أولى بالمنكرين له مِن أهلِ التَّفريطِ والإضاعة.

دلالةُ إضافةِ لفظ ﴿مِّيعَادُ﴾ إلى ﴿يَوْمٍ﴾:

ميعادُ يومِ القيامة أو ميعاد عذابٍ في الدُّنيا

أُضيفَ لفظُ الـ﴿مِّيعَادُ﴾ إلى ﴿يَوْمٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ تجوُّزًا مِن حيث كان فيه، فإضافتُهُ إلى ظرفه بيانيَّة؛ لأنَّ الميعادَ هو اليوم نفسه[2]، وتحتمل الآيةُ أن يكونَ استعجالُ الكفرةِ لعذاب الدُّنيا، ويكون الجوابُ عن ذلك أيضًا، ولم يَجرِ للقيامة ذكرٌ على هذا التَّأويل[3]، فاليوم: يومُ القيامةِ - وهو السّابقُ إلى الذِّهن - أو يوم مجيء أجلهِم عند حضورِ منيَّتهم، أو يوم بدر[4]، والآيةُ تحتملُ هذه الأقوال.

دلالةُ لفظِ ﴿مِّيعَادُ﴾:

الميعادُ يُفسَّرُ في سياق الوعد والزَّمان

الظّاهرُ أنَّ الميعادَ اسمٌ على وزنِ مِفْعال استُعمل بمعنى المصدرِ، أي: (قل لكم وقوع وعد يوم وتنجيزه)، وقال الزَّمخشريُّ:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 200.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 203.
(3) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 4/ 420.
(4) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 589، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 551.

(الميعاد) ظرف الوعدِ من مكانٍ أو زمانٍ، وهو هاهنا الزَّمانُ[1]، والدَّليلُ عليه قراءة من قرأ ميعادٌ يومٌ، فأبدل منه اليوم[2]، والميعاد يقعُ للخير والشَّرِّ[3].

دلالةُ استعمالِ حرفِ النَّفي ﴿لَّا﴾:

مباغتةُ وقتِ مجيءِ الميعاد، فهو غيرُ مقترنٍ بزمنٍ معيَّنٍ

أفاد النَّفيُ في قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ استحالةَ أن يختلفَ حضورُ المخاطَبين، وحضورُ الميعاد، فكِلا الحضورين متطابقٌ، فلا يتأخَّرُ المخاطَبون، ولا يتقدَّمون عنه فترةً زمنيَّةً مهما كانت قصيرةً، وجيءَ بحرف النَّفي ﴿لَّا﴾؛ لبيانِ أنَّ وقت المجيءِ يبدأ من لحظةِ نزولِ الآية إلى أن يقعَ، ففيه معنى المفاجأةِ والمباغتة.

دلالةُ السّينِ والتّاءِ في فعل ﴿تَسْتَـْٔخِرُونَ﴾:

النَّظمُ كاشفٌ عن بواطنِ النُّفوسِ وخفيّاتِ الصُّدور

السّينُ والتّاء في الاستئخارِ والاستقدام في قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ للمبالغة[4]، فعلى الرَّغم ممّا يظهر على ألسنةِ المنكرين من استعجالِ مجيءِ ذلك اليوم، إلا أنَّهم يتمنّون في دواخلهم تأخُّرَهُ وعدم حضورِهِ، فبالغَ هنا في قوله: ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ﴾؛ لأنَّهم يطلبونَ في أنفسِهم ذلك، وقال: ﴿تَسْتَقْدِمُونَ﴾؛ وصفًا لظاهر أقوالهم بأنَّهم يطلبون استعجالَهُ.

فنُّ التَّتميمِ في تقديم الاستئخارِ على الاستقدام:

نفيُ الاستئخارِ أصلٌ تمامُهُ في نفي الاستقدام

قُدِّمَ (الاستئخار) على (الاستقدام)؛ إيماءً إلى أنَّه ميعاد يوم عصيب، وعذاب عليهم، فمِن شأنِهم أن يتمنَّوا تأخُّرَه، ويكون ﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ تتميمًا لتحقُّقِهِ عند وقتِهِ الَّذي أرادَهُ اللّٰه تعالى، وفيه كشفٌ لِما يدور في أنفسِهم، فهم يُراجعونَ أنفسَهم حين الخلوةِ، ويتوقَّعون قدومَ ذلك اليوم، فيرجونَ تأخيرَهُ وعدم حضورِهِ.

(1) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 589.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 550.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 550.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 203.

دلالةُ حرفِ (عَنْ) في القيد ﴿عَنْهُ﴾:

دلَّ حرفُ (عَنْ) في قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً﴾ على نفي التَّجاوزِ عن الميعاد، ولو ساعةً، أي: لا تتأخَّرون، ولا تبتعدون عن وقت حضوره، ولو بمقدار وقت قصير.

نكتةُ تقييدِ فعل ﴿تَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ بالجارِّ والمجرور:

قُيِّدَ الفعلُ ﴿تَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ بالجارِّ والمجرور ﴿عَنْهُ﴾ في قوله: ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾؛ ليُظهِرَ تعلُّق الأمرِ بوقتٍ وميعادٍ محدَّدٍ لا يتأخَّر، ثمَّ إنَّ الجارَّ والمجرور يعكس الإلحاح على أهمّيَّة التَّوقيت، وأنَّه سيأتي حتمًا في موعدِهِ الذي أراده الله تعالى، والتَّعبيرُ يُضفي معنى أكبرَ على الفعل؛ إذ يُشعر السّامع بأنَّ ثمَّة موعدًا عظيمًا ومُلحًّا يجب الانتباهُ إليه، ويُؤكِّد على ضرورة الإسراع في الإيمان والتَّوبة.

موعدُ مجيءِ السّاعة أو العذابِ مطابقٌ لما كُتِبَ في الغيب

بلاغةُ استعمالِ لفظِ ﴿سَاعَةً﴾ وتنكيرها:

(السّاعة) في قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً﴾ حصَّةٌ من الزَّمن، وتنكيرها للتَّقليل بقرينة المقام؛ إذ نكَّر ﴿سَاعَةً﴾ للتَّهوين والتَّقليل والتَّحديد، في كونها فترةً زمنيَّةً قصيرةً، ثمَّ إنَّ تنكيرَ ﴿سَاعَةً﴾ يُضفي طابعًا تحذيريًا؛ إذ السّاعة المنفيَّة في الآيةِ هي الوقت القليلُ مِنَ الزَّمن، وهذا الوقت منفيٌّ أن يقعَ، فدلَّ على ما دلَّ عليه عمومُ النَّظم من دقَّة المطابقةِ في مجيءِ الميعاد.

العنايةُ بمطابقةِ مجيءِ الميعاد تحذيرٌ شديد وتهديدٌ خطير

نكتةُ تقديمِ ﴿عَنْهُ﴾ على ﴿سَاعَةً﴾:

قُدِّمَ ﴿عَنْهُ﴾ على لفظِ ﴿سَاعَةً﴾ في قولهِ تعالى: ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً﴾؛ لتخصيصِ اليوم، ولمزيد الاهتمامِ به، فهو يوم الانقطاع عن العمل، سواء كان الموت أو العذاب أو القيامة.

دلالةُ واوِ العطفِ بين جملتَيِ الطِّباق:

الواوُ في قولهِ تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ حرفُ عطفٍ للجمع؛ إذ

جَمَعَ النَّقيضين، وهما التَّأخُّر والتَّقدُّم، وأبرز فنَّ الطِّباق المؤدّي إلى دلالة الشُّمول والإحاطةِ، وأفاد التَّسويةَ بين عدمِ الاستقدام وعدم التَّأخيرِ، وهذا أمرٌ لا ينفيه، ولا يُثبته إلّا القادرُ ﷻ.

شمولُ الزَّمانِ المنفي والإحاطة به

نكتةُ تكرارِ حرف النَّفي:

كُرِّرَ حرفُ النَّفي (لا) في قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾؛ للتَّوكيد، ولبيان أنَّ الاستقدامَ والاستئخار سيّان في قدرة الله تعالى، فامتنع بذلك عدمُ حضورِهم يوم القيامةِ في الوقت المحدَّدِ الذي يجتمعُ فيه النّاسُ جميعًا، ولاستقلال كلِّ جملةٍ بالنَّفي.

قدرةُ اللهِ تنالُ الزَّمان كلَّه، ما مضى منه وما سيأتي

نكتةُ حذفِ متعلَّقِ ﴿تَسْتَقْدِمُونَ﴾:

حُذِفَ متعلَّقُ ﴿تَسْتَقْدِمُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ إيجازًا، فالحذفُ يُضفي على الجملةِ طابعًا بلاغيًا، والمعنى: (ولا تَسْتَقْدِمونَ عليه ساعة)، وللإيماءِ بأنَّ القدرةَ على الاستقدام منفيَّةٌ كذلك عن المخاطَبين، فإنَّ للإنسان أوهامًا مِنَ الاقتدار على تجاوز الصِّعاب، فجاءت هذه الجملةُ لنفي ذلك كلِّه.

دفعُ مظانِّ الإنسانِ فيما يعتريه مِنَ الأوهامِ

بلاغةُ أسلوبِ الحكيم:

جاء الجوابُ في قوله تعالى: ﴿لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ على طريقة الأسلوبِ الحكيم، فالأهمُّ للعقلاء أنْ تتوجَّه هممُهم إلى تحقُّقِ وقوع الوعدِ، في الوقتِ نفسِه الذي عيَّنه اللهُ له، وأنَّه لا يؤخِّره شيءٌ، ولا يقدِّمه، وحسَّن هذا الأسلوبَ أنَّ سؤالَهم إنَّما أرادوا به الكنايةَ عن انتفاء وقوعه[1]، فتركَ إرادتهم مِن سؤالِهم، وأجابهم بما ينفعُهم مِنَ الوعيدِ والتَّهديد، فإنَّ مَنِ استهان بالحقائق، فأنكرها؛ هُدِّدَ بها.

يقع التَّهديدُ والوعيد من المنكِر موقعَ الرّادع الزّاجر

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 200.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التَّأخيرُ والإنظارُ والتَّأجيل:

الإنظارُ: إمهالٌ لينظرَ صاحبُهُ في أمرِهِ، خلاف التَّأخيرِ، ويرشدُ إليه قوله تعالى حاكيًا عن هود عليه السلام مخاطبًا لقومه: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥﴾ [هود: 55][1]، أي: لا تُعطوني فرصةً لتغييرِ موقفي.

الإنـظـارُ إمـهـالٌ إضافيٌّ، والتَّأخيرُ يُقابل التَّقديم، والتَّأجيلُ تأخير موعد سابق

أمّا التَّأخيرُ؛ فتأخيرُ شيءٍ عن موعدِهِ المحدَّد، مثل الوصولِ متأخِّرًا إلى موعد أو تأخير تنفيذ مهمَّة، ويكون عادة بسبب ظروفٍ غيرِ متوقَّعةٍ، والتَّأخير مقابلٌ للتَّقديم، قال تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ [القيامة: 13]، وقال: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2]، وقال: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢﴾ [إبراهيم: 42]، وقال: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [إبراهيم: 44][2].

أمّا التَّأجيلُ؛ فالمدَّة المضروبة للشَّيء، قال تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ [غافر: 67]، وقوله: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ [القصص: 28]، وأصلُهُ: استيفاءُ الأجلِ، أي: مدَّة الحياة، وبذلك يكونُ التَّأجيلُ تأخيرًا للموعد المسمَّى مسبقًا[3]، فالتَّأجيلُ يعني تأخيرَ شيءٍ إلى موعدٍ لاحقٍ، ويتضمَّن تحديدَ موعدٍ جديدٍ في المستقبل لتنفيذ الحدث أو المهمَّة.

التَّقدُّم والتعجُّل:

القُدُمُ ضدُّ الأُخُرِ، ورجلٌ قُدُمٌ: مقتحِمٌ للأشياء يتقدَّمُ الناس، ويمضي في الحربِ قُدُمًا، ومُقدَّمٌ نقيضُ مُؤخَّر، واستَقْدَمَ، أي: تَقَدَّمَ[4]، وقوله: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٤﴾ [الأعراف: 34]، أي: لا يريدون تأخُّرًا ولا تقدُّمًا، وقوله: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [يس: 12]، أي: ما فعلوه، قيل: وقَدَّمْتُ إليه بكذا؛ إذا أمرته

التَّـقـدُّمُ عكس الـتَّـأخُّـر، والتَّعجيل طلبُ الشَّيء وتحرّيه قبل أوانه

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 81.
(2) الأصفهانيّ، المفردات، ص: 69.
(3) الأصفهانيّ، المفردات، ص: 65.
(4) الخليل، العين: 5/ 123.

قبل وقتِ الحاجةِ إلى فعلهِ، وقبل أن يدهمَهُ الأمرُ والنّاس، وقَدَّمْتُ به: أعلمته قبل وقتِ الحاجة إلى أن يعمله، ومنه: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾ [ق: 28][1].

أمّا التَّعجُّل؛ فيعني السَّبقَ وسرعة القيام بشيءٍ، واستعجلْتُهُ، أي: حثثته وأَمَرْتُهُ أن يُعَجِّلَ في الأمر[2]، وقد يشير التَّعجُّل للتَّعبير عن الإسراع دون تروٍّ، والعَجَلَةُ: طلبُ الشَّيءِ وتحرّيه قبل أوانِهِ، وهو من مقتضى الشَّهوة، فلذلك صارت مذمومةً في عامَّة القرآنِ حتى قيل: (العَجَلَةُ من الشَّيطان)، قال تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء: 37]، وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ [طه: 114]، وقوله: ﴿*وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾ [طه: 83]، وقوله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه: 84]، فَذَكَرَ أنَّ عَجَلَتَهُ – وإن كانت مذمومةً – فالَّذي دعا إليها أمرٌ محمودٌ، وهو طلب رضا اللهِ سبحانه[3].

(1) الأصفهانيّ، المفردات، ص: 65.
(2) الخليل، العين: 1/ 227.
(3) الأصفهانيّ، المفردات، ص: 548.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والأربعون،
سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 46 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-99-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 46 : المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-99-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0986397 بتاريخ 2025/01/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»